بحوث فی الأدب المقارن
فصلية علمية- محكّمة
كلّيّة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة رازي – كرمانشاه
السّنة الرابعة، العدد ١٦، شتاء ١٣٩٣ هـ.ش/ ١٤٣٦ هـ.ق/ ٢٠١٥ م، صص ٦٣-٨٤

من المعرّة الى شيراز: أثر أبي العلاء المعرّي في الشاعر الفارسي المعاصر فريدون تولّلي[١]

حيدر خضری[٢]
الباحث المدعو، مركز الدراسات الشرق الاوسط، جامعة ايندیانا، بلومينگتون، الأمريكا

الملخّص
تهدف هذه المقالة إلى دراسة أثر أبي العلاء المعري في الشاعر الفارسي المعاصر «فريدون تولّلي»، بدءاً من التعريف بحياة الشاعرين، ثم بيان العوامل المساعدة على نشأة ظاهرة «جناية الأب على الابن» عندهما، و من ثم دراسة أثر أبي العلاء المعري في فريدون تولّلي فيما يخص هذا المجال، مشيراً إلى «الدليل النصي» و «ما فوق النصي» لإثبات هذا التأثر و التأثير، و بيان كيفية تعرف فريدون توللي إلى أبي العلاء المعري و مدى تأثّره بأبي العلاء المعري في نظريته «جناية الأب على الابن». تفيد نتائج هذا المقال التي استقصينا من خلال تأمّلنا في شعر التوللي قلباً و قالباً أنّ الشاعر تأثّر في افكاره و آراءه بالشاعر العربي، أبي العلاء المعري، عالما أن هذا التأثر جاء في إطار الشكل و الظاهر أكثر مما جاء في إطار المعتقدات.

الكلمات الدّليلية: أبوالعلاء المعري، فريدون تولّلي، جناية الأب على الابن، الأدب المقارن، النّظرة التّشائميّة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

[١] - تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٩/٢٧ تاريخ القبول: ١٣٩٣/١٢/٥
٢ – العنوان الإلكتروني: hkhezri@indiana.edu؛ haidarkhezri@yahoo.com

١. المقدّمة

بالرغم من التقارب الزمني لنشأة الاتجاهات الأدبية بين الأدبين العربي و الفارسي في العصور المختلفة، و تشابه الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية للدول العربية و إيران خاصة في القرن الأخير، و بالرغم من العلاقات الثنائية في القضايا السياسية و الاقتصادية و الثقافية بينهما في العصر الحديث، و سهولة التعرف إلى الثقافتين العربية و الفارسية من جانب الأدباء و الشعراء في كلا الأدبين عن طريق الكتب المترجمة و المقالات، و بالمشاركة في المؤتمرات و الندوات و غيرها، و بالرغم من ذلك كله نلاحظ غياباً شبه كلي للدراسات المقارنة المعاصرة بين الأدبين العربي و الفارسي في العصر الحديث؛ نتيجة انصراف الباحثين إلى الدراسات المقارنة التقليدية في المراحل الكلاسيكية[١] بين الأدبين، و سيادة الاتجاهات الأدبية الغربية على ساحات الأدب الشرقي بشكل عام، و الأدبين العربي و الفارسي بشكل خاص، و من ثم دخول الثقافتين العربية و الفارسية في دائرة التبعية و التهميش في مرحلة الاستعمار و ما بعد الاستعمار. (قسم اللغة العربية و آدابها...، ١٩٩٩: ١٤) في حين أن العلاقات الأدبية و اللغوية و لاسيما فيما يرتبط بقضية التأثر و التأثير بين الأدبين العربي و الفارسي المعاصرَين لا تزال قائمة، و تنقسم إلى قسمين: القسم الأول لهذه العلاقات يكون بين أدباء أو شعراء معاصرين من كلا الأدبين،[٢] و أما القسم الثاني فيكون بين أديب أو شاعر معاصر من أحد الأدبين و أديب أو شاعر كلاسيكي من الأدب الثاني.[٣] و هذا البحث سيقوم بدراسة القسم الأخير، مسلطاً الضوء على تأثر فريدون توللّي أحد رواد الاتجاه الرومانتيكي في الشعر الفارسي المعاصر، بالشاعر الكلاسيكي العربي، أبي العلاء المعري، فيما يخص نظريته «جناية الأب على الابن»، مستخدماً منهج المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن التي ترتكز على ركنين مهمين و هما: اختلاف اللغة، و التأثر و التأثير.[٤]

و أما السؤال الأساسي الذي يبحث عنه هذا المقال فهو: هل فريدون توللي تأثر في نظريته «جناية الأب على الابن» التي نرا ذروتها في قصيدته الشهيرة: «عار التأخير» (ننگ درنگ) بأبي العلاء المعري و نظريته «جناية الأب على الابن» و إلى أي مدى؟

و أما الفرض الرئيسي الذي يثبته هذا المقال فهو: أن توللي تأثر بأبي العلاء المعري في نظريته هذه و في انشاد قصيدته «عار التأخير» تأثرا شكلياً. و أخيراً لايفوتنا أن نشير إلى أن الباحث لم‌يقف في مجال موضوعه هذا على أي دراسة تشير إلى قضية تأثّر فريدون توللّي بأبي العلاء المعري.

١-١. أبو العلاء المعري (٣٦٣- ٤٤٩ ق)

ولد أبوالعلاء أحمد بن عبدا... بن سليمان التنوخي سنة ٣٦٣ هـ.قمري في معرة النعمان، في أسرة علم و أدب و دين، و نشأ في بيئة حافلة بالمعارف و الآداب، إذ كان جده قاضياً في المعرة ثم بحمص، و كان والده من أعظم علماء عصره، و هذا مما يسر له الاطلاع على أصناف العلوم و السير و كتب الفقه. أصيب أبو العلاء المعري بمرض الجدري في السنة الثالثة من عمره فعمي نتيجة لذلك. و كان له نصيب من الشعر و هو ابن إحدى أو اثنتي عشرة سنة. تعلّم النحو و البلاغة من شيوخ المعرة، و زار بعض المدن مثل اللاذقية، و طرابلس، و إنطاكية، و أفاد من علمائها، و تمكن من توسيع ثقافته في الشام ثم رحل إلى بغداد و أقام فيها سنة و سبعة أشهر، ثم رجع إلى المعرة، و لزم بيته، و عاش فيه حياة تقوم على الزّهد و التفكّر و التأمّل بأحوال الكون و الحياة، و سمّى نفسه «رهين المحبسين» أي حبسُ نفسه في منزله، و حبسُ بصره بالعمى. مات سنة ٤٤٩ هـ.ق. في المعرة مسقط رأسه. (الحموي، ١٩٩١: ٣٩٦-٣٩٧؛ ابن خلكان، لا.تا: ١١٣-١١٦) و لأبي العلاء مؤلفات

عدة، من أشهرها: سقط الزند، و اللزوميات، و الدرعيات، و ضوء السقط، و رسالة الغفران، و الأيك و الغصون، و الفصول و الغايات، و ذكرى حبيب[٥]، و عبث الوليد[٦]، و معجز أحمد،[٧] إلخ.

١ -٢. فريدون توللي (١٩١٩ – ١٩٨٥)

ولد فريدون توللي في مدينة شيراز موطن الشعراء الكبار عام ١٩١٩، و حصل على الثانوية العامة في الفرع الأدبي. ثم رحل إلى طهران، و حصل على الإجازة في فرع علم الأثرية من كلية الآداب و العلوم الإنسانية بجامعة طهران سنة ١٩٤١، و رجع إلى شيراز مسقط رأسه، و اشتغل في الأمور الأثرية في وزارة التربية و التعليم في مدينة شيراز. و في سنة ١٩٤٧ سافر مرة أخرى إلى مدينة طهران، و إثر هذه الرحلة صار عضواً في الهيئة التحريرية لصحيفة «شرق ميانه» (الشرق الأوسط) و من ثم عاد مرة أخرى إلى مدينته شيراز، و نشر مجموعته الشعرية الأولى تحت عنوان «رها» سنة ١٩٥٠. ثم هرب إلى طهران إثر انقلاب و مؤامرة سنة ١٩٥٣، التي أدت إلى احتراق بيته، و عيشه بصورة خفية في جو بارد مليء بالحزن و الوحشة. وفي سنة ١٩٦٢، نشر مجموعته الشعرية الثانية تحت عنوان *نافه*، و نشر في الفترة ما بين سنتي ١٩٦٦ إلى ١٩٧٤ مجموعتين شعريتين أخريين تحت عنوان *پويه* و *شگرف*، و توفي سنة ١٩٨٥ عن عمر ست و ستين سنة. انظر: (لنگرودي، ١٣٨٤: ج١: ٣٠٩-٣١٧)

يعدّ فريدون توللي من الرّواد، و من أوائل الأشخاص الذين أفادوا من الشعر الحرّ للتعبير عن أحاسيسهم و مشاعرهم. اتجه في بداية حياته الشعرية إلى أجواء رومانتيكية، معرضاً عن الشعراء الكلاسيكيين الفرس، و مفيداً من القالب الرباعي، و متّجهاً نحو الشعر الحر، و مقلداً نيما [٨] و أصحابه. و لكنّه بعد فترة وصف نيما و أصحابه بأنّهم هادمو بنيان الشعر الفارسي، و لذلك عاد إلى إنشاد الشعر على طريقة القدماء. (حقوقي، ١٣٧٧: ٥٣٤) أما أشهر مؤلّفاته الشعرية فهي: *رها، و نافه، و شگرف، و پويه، و بازگشت*. و له كتابان في نقد أوضاع المجتمع بطريقة ساخرة تحت عنوان: *التفاصيل و كاروان*.

٢. عرض الموضوع

مذْ خلق ا... البشر إلى الآن، و التفكير في الحياة و الممات شاغلهم، خاصّة الأدباء و الفلاسفة منهم؛ جيلاً بعد جيل، الأمر الذي أدى بهم إلى التساؤل عن بداية الحياة و طبيعتها، و نهايتها:

از كجا آمده‌ام آمدنم بهر چه بود به كجا مى روم آخر ننمايى وطنم

(مولوى،١٣٧٥، ج١: ١٣٧٥)

(من أين أتيت و لماذا أتيت ؟ و إلى أين أذهب؟ و في النهاية لا تريني مقصدي الأخير)

جئتُ لا أَعلَمُ مِـــن أَينَ؛ و لكِنّي أَتَيتُ ولَقَدْ أَبصَرت قدامي طريقاً فَمَشيت

وَسَأبقَى ماشياً إن شِئْتُ هَذا أَم أَبيت كَيفَ جِئتُ، كَيفَ أَبصرت طَريقي

لستُ أَدرِي (أبو ماضي، ٢٠٠٥: ٩٧)

و قد وقف كثير من الفلاسفة والأدباء أمام هذه المسألة، وبذلوا فيها كلّ ما يملكون من فطنة وذكاء، وأعطوها كلّ ما استطاعوا من جهد وقوة. ثم أقرّوا بالعجز أمامها (الخطيب، ١٩٦١: ١٠)، فخرجوا في حالة من الشكّ والحيرة:

طَلَبْتُ يقيناً مِنْ جُهَيْنَةَ عَنْهُمُ وَلَنْ تخبريني يا جُهَينَ سوَى الظَّنّ

(المعرّي، ١٩٩٨: ٦٢)

و لم يكن أبوالعلاء المعري وفريدون توللي بمعزل عن هذا الصراع الفكريِّ، إذ ظنا أنهما دخلا في هذه الحياة مجبرين وسيخرجان منها مكرهين، فبحثا عن سبب وجودهما في هذه الحياة المملوءة بالكراهية، فتيقّنا أنها ليست سوى هدية مشؤومة من قبل آباء قساة على أبناء ضعفاء.

٢-١. نظرية «جناية الأب على الابن» عند أبي العلاء المعري

لقد أوصى أبو العلاء المعرّي أصحابه أن يكتبوا على قبره:

هذا [ما] جَناهُ أبي عَلَيَّ وَما جَنَيْتُ عَلَى أَحَدْ

(ابن خلكان، لا.تا: ١١٥)؛ (العباسي، ١٩٤٧: ١٤٥)

هذه النظرية التي تكاد تميز أبا العلاء المعري في اعتقاده بها وفي مراعاته إياها في حياته الأدبية والشخصية طالما شغلت الباحثين والأدباء طوال الأزمنة المختلفة، إذ رأوا أنها متعلقة باعتقاد الحكماء، «فإنهم يقولون: إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جناية عليه، لأنه يتعرض للحوادث والآفات». (العباسي، ١٩٤٧: ١٤٥) هذه النظرية التي تعبر عن تبرم أبي العلاء بالحياة، وغضبه عليها، وتمنيه أن يكون في عالم العدم، تعدّ نظرية كاملة وشاملة حدد ملامحها أبو العلاء في أشعاره وأقواله، بل حتى في أفعاله وسلوكه في هذه الحياة. ومن أولى أفكار هذه النظرية أنه وجد في هذه الحياة مجبراً وسيرحل عنها مرغماً، ذلك لأنّ النهي والأمر في هذه المسألة إنما يعود للقدر:

ما بِاختياري ميلادي وَلا هَرَمي وَلا حَياتي، فَهَل لِي بَعْدُ تَخييرُ؟

وَلا إِقامَةَ إِلّا عَنْ يَدَي قَدَرٍ وَلا مسيرَ إِذا لَم يُقضَ تسييرُ

(المعري، ١٩٩٢: ٣٥٩)

فمشكلة الجبر في نظر شاعرنا الفيلسوف تكاد تكون المشكلة المستعصية التي تشغل الجانب الأكبر من ديوانه *اللزوميات* وتكاد لاتخلو قصيدة فيه من الإشارة إلى هذه المشكلة تلميحاً أو تصريحاً:

جِئْنا عَلى كُرهٍ وَنَرْحَلُ رُغْمَاً وَلَعَلَّنا ما بَيْنَ ذلكَ نُجْبَرُ

(نفسه: ٣٦٤)

وهو في هذا المجال يبحث عن الجذر الرئيس وعن المصدر الأساس، و يرجع السبب الرئيس إلى الأب الأول والأم الأولى، ويتمنى لو لم يلتق آدم بحواء أو أنه طلّقها:

يا لَيتَ آدَمَ كانَ طَلَّقَ أُمَّهُم أَوْ كانَ حَرَّمَها عَلَيه ظِهارُ

(نفسه، ج١: ٣٨٢)

أو كانت حواء عقيماً:

فَلَيْتَ حَوّاءَ عَقيمٌ غَدَتْ لا تَلِدُ النَّاسَ وَلا تَحْبَلُ

(نفسه، ج٢: ١٧١)

وهكذا أعلن أبو العلاء «معركة على الحياة لا هوادة فيها، وأخذ يقذفها بقذفات شعواء ستظل تتجاوب بأصدائها الأيام، إنه لا يشكو عصراً ليمدح آخر، والناس كلهم أشرار، فلا سبيل للحرص على النسل في حياة هي (جناية) عنده جناها الآباء القساة على أبنائهم». (خرييان، ١٩٩٠: ٧٣)

إذن فالأمر عند أبي العلاء ليس متعلقاً بحياته الخاصة فقط، بل هو متعلق بفساد الحياة والمجتمع، وفساد البشرية فيهما، لذلك فهو يخاف من فساد الإنسان، ومن آلامه المستمرة والكثيرة في مستنقع الحياة، ذلك أنّ رفضه لوجود الإنسان في هذه الحياة إنما ينبثق من خوفه عليهم منها، فهي التي تصمهم بطابعها الموشّى بالشرور على مر الأزمان والعصور:

لَوْ غَرْبَلَ النَّاسُ كَيما يُعْدَموا سَقَطاً لَما تَحَصَّلَ شَيءٌ في الغَرابيل

(نفسه، ج٢: ٢٢٥)

ويقول في مكان آخر عن عدم تغيير طباعهم على مرالعصور:

تَغَيَّرَ مُلْكُ حِمْيَرَ ثُمَّ كِسْرَى وَلَمْ تَقْبَل تَغَيُّرَها الطِبَاعُ
وَجَدْتُ النّاسَ فِي جَبَلٍ وَسَهَلٍ كَأَنَّهُمُ الذِئَابُ أَوِ السِّبَاعُ

(نفسه،ج٢: ٢٦)

وهو يعدّ هذه الجناية ملازمة للإنسان، ولو وصل في هذه الحياة إلى القمة:

عَلَى الوُلْدِ يَجْنِي وَالِدٌ وَلَوْ أَنَّهُم وُلاةٌ عَلَى أَمْصارِهم خُطَباءُ

(نفسه، ج١: ٤٨)

«وحق لأبي العلاء الذي رفض الحياة رفضاً قاطعاً، أن يرفض متاع الأولاد والزواج، وليس هذا الأمر ضرباً من ضروب التشاؤم بقدر ما هو ضرب من دروب الحياة التي آمن بأن لا جدوى في صلاحها ولا أمل، فعزّ عليه أن يجني على أحد، وكيف يأتي بالجناية، وأولاده، إذا جاؤوا كأهل عصره؟». (خريباني، ١٩٩٠: ٨٨-٩٢)

لَوَ انَّ بَنِيَّ أَفْضَلَ أَهْلِ عَصْرِي لَمَا آثَرْتُ أَنْ أَحْظَى بِنَسْلِ

(نفسه،ج٢: ٢٣٤)

وهو بذلك قد أراح أولاده في نعمة كبيرة، نعمة أكبر من الدنيا وما فيها، نعمة لا دخول للشدائد والمصائب إلى ساحتها، وهي نعمة العدم:

وَأَرَحْتُ أَوْلادي فَهُم في نِعْمَةِ الـــ عَدَمِ الَّتي فَضَلَتْ نَعيمَ الْعَاجِلِ
وَلَو أَنَّهُم ظَهَروُا لَعانوا شِدَّةً تَرميهُم فِي مُتْلِفاتِ هَواجِلِ[٩]

(نفسه، ج٢: ٢٤٢)

وقد سعى أبو العلاء ليسوغ مبتغاه من تعطيل التناسل إلى تقديم مبرراته منذ آدم وحتى اليوم، فيقول:

كُلُّ، عَلَى مَكْرُوهِهِ، مُسْبَلُ وَحَازِمُ الأَقوامِ لا يُنْسِلُ
فَسَلْ أبو عالَمِنا آدَمٌ وَنَحْنُ مِنْ والِدِنا أَفْسَلُ

(نفسه، ج٢: ١٧٢)

ولذلك فهو يعتقد أن الكرامة للابن والاحترام له إنما يكمن في عدم ولادته:

وَإِذا أَرَدتُم لِلْبَنِينِ كَرَامَةً فَالْحَزمُ أَجْمَعُ تركُهُم في الأَظْهُرِ

(نفسه، ج١: ٤٧٢)

الأمر الذي لأجله «دعا إلى تحديد النسل، وفضل انقراض البشر بالتوقف عن الإنسال فلم يكن أباً، ودعا إلى العفة فلم يتزوج» (حسين وآخرون، لا.تا: ١١):

تَوَاصَلَ حَبْلُ النَسْلِ ما بين آدمٍ وبيني وَ لَم يوصِلَ بِلامِيَ باءُ

(نفسه، ج١: ٤٧)

وحتى هذا الأمر – عدم وجود العائلة – هوّن وسهّل عليه أرزاء الحوادث:

وَهَوَّنَ أَرْزاءَ الحَوَادِثِ أَنَّني وَحيدٌ أُعانيهَا بِغَيرِ عِيالِ

(نفسه، ج٢: ٢١٣)

ونراه يضع عموداً آخر لبناء نظريته الشامخة عندما يشن هجوماً عنيفاً على المرأة، لأنها تعد في عقيدته العمود الرئيس للعائلة وهي النبع الذي يمد البشرية بالاستمرار والتدفق:

وَدَفْنٌ وَالْحَوادِثُ فاجِعاتٌ لِإَحْداهُنَّ إِحْدَى الْمكرماتِ

(نفسه،ج١: ١٩١)

ويعد أبو العلاء حواء البلاء الرئيس في هذه الحياة المملوءة بالعذاب والشقاوة؛ ولذلك يرجو لو كانت حواء عاقراً:

فَلَيْتَ حَوَّاءَ عَقيمٌ غَدَتْ لا تَلِدُ النَّاسَ وَلا تَحْبَلُ

(نفسه، ج٢: ١٧١)

وهو في هذا الجانب يعرف الغريزة البشرية، ومخافة وقوع الناس في الذنب و الإثم يضع طريقة أخرى أمام الذين لايستطيعون الالتزام بعدم الزواج:

نَصَحْتُكَ لا تَنْكِحْ، فَإِنْ خِفْتَ مَأْثَماً فَأَعْرِسْ، وَلا تُنْسِل، فَذَلِكَ أَحْزَمُ

(نفسه: ٢٦٨)

ويكرر في مواضع عدة فكرته التي تقول إن العقيمات خير من اللواتي يلدن:

خَيْرُ النِّساءِ اللَواتِي لا يَلِدْنَ لَكُم فإِنْ وَلَدْنَ فَخَيرُ النَّسْلِ ما نَفَعا

(نفسه، ج٢: ٣٣)

و يقترح المعري الزواج من العقيمات، لأنهن خيارات متناسقة ومتماشية مع نظريته في تعطيل التناسل:

إِذَا شِئْتَ يَوْمَاً وَصْلَةً بِقَرِينَةٍ فَخَيرُ نِساءِ العالَمِينَ عَقيمُها

(نفسه: ٢٨١)

وهو في نظريته المتكاملة هذه يخطط لكل طبقات المجتمع، في البداية ينادي بتعطيل النسل، ومخافة وقوع بعضهم في الذنب والإثم، يقترح عليهم أن يتزوجوا ولا يلدوا، وهو في هذا المجال يفضل العقيمات على اللواتي يلدن، وفي خطوة أخرى أكثر تطوراً من هذه، يرفض فكرة تعدد الزوجات، لأنها تعد هدّامة لنظرية تعطيل التناسل:

وَوَاحِدَةٌ كَفَتْكَ فَلا تُجاوِز إِلى أُخرى تَجيءُ بِمُؤْلِماتِ

(نفسه، ج١: ١٩٦)

ويعلل أبو العلاء نظريته هذه – تعطيل التناسل والزواج – مرة بأن النساء لسن وفيّات في حبهن للرجال:

وَمِنْ صِفاتِ النِّساءِ قِدْمَاً أَنْ لَسْنَ فِي الوُدِّ مُنْصفاتِ

(نفسه: ١٨٧)

ومرة أخرى بعدم وفاء الابن والأقارب للآباء والوالدين:

إِذا ما أَسَنَّ الشَيخُ أَقصاهُ أَهْلُهُ وَجارَ عَلَيهِ الابنُ وَالْعَبْدُ وَالْعِرْسُ

(نفسه: ٥٣٦)

ومرة أخرى يعدّ الولادة والنسل نوعاً من التناحر والمنافسة بين الأب والابن، وهذا يدخل البشرية إلى عالم البهائم الذي نرى فيه:

قَومُ سُوءٍ، فَالشِبلُ مِنْهُم يَحولُ اللَيــ ثَ فرساً، وَاللَيثُ يَأْكُلُ شِبْلَهُ

(نفسه، ج٢: ٢٠١)

ومرة يلفت أنظارنا وانتباهنا إلى المشاهد والمناظر الطبيعية الحرّية بأن نعتبر بها:

كُوني الثُرَيّا أَو حَضارِ أَو الــ جَوْزاءَ أَو كَالشَّمْسِ لا تَلِدُ
فَلَتِلْكَ أَشْرَفُ مِنْ مُؤْنَثَةٍ نَجَلَتْ فَضاقَ بِنَسْلِهَا الْبَلَدُ

(نفسه، ج١: ٢٨٠-٢٨١)

وأخيراً يعدّ الزواج والولادة من صفات البهائم:

ما أَشْبَهَ النّاسَ بِالْأَنْعَامِ، ضَمَّهُمُ إِلَى الْبَسيطَةِ مُصطافٌ وَ مُرْتَبَعُ
إِنْ لَمْ تَكُنْ فَحْلَ إِبِلٍ كُنْتَ مُشْبِهَهُ أَعراسُكَ الذَودُ[١٠] عُدَّت، وَابنُكَ الرُبَعُ[١١]

(نفسه:ج٢: ٢٦)

وبعد كل ما قدمه من مسوغات، نجده يحاول أن يجذب ويقنع القلوب الحنونة للوالدين، بأن العيش في هذه الحياة يفوق الجحيم، والولد هو الذي يشقى ويعاني من آلامها:

تَرجو لَهُ مِن نَعيمِ الدَّهرِ مُمْتَعَاً وَما عَلِمْتَ بِأَنَّ الْعَيشَ يُشْقِيهِ

(نفسه، ج٢: ٥٢٦)

وعندما خاب ظنه أخيراً في الوالدين، يخاطب الولد ويريد منه أن لا يقوم بالجناية التي جناها أبوه عليه:

وَأَلْقاكَ فيها والِداكَ فَلا تَضَع بِها وَلَدَاً يَلقي الشَّدائِدَ وَالنُكرا

(نفسه، ج١: ٣٩٧)

أما الذين لا يلبون نداءه لهم بالامتناع عن الزواج والتناسل، فإنه لايتركهم بل يخفف من حدة خطابه لهم، فبما أنهم يصرون على التزاوج والتناسل، فإنه يطلب إليهم أن يتزوجوا إن كان ولابد بامرأة صالحة:

تَزَوَّج إِنْ أَرَدتَ فَتاةَ صِدقٍ كَمُضْمَرِ نِعْمَ، دامَ عَلَى الضَّميرِ
إِذا اِطَّلَعَ الأَوانِسُ لَم تَطَّلَع إِلى عُرُسٍ تَمُرُّ، وَلا أَميرِ

(نفسه: ٤٦٥)

ومن ثم يدعوهم لأن يهتموا بشؤون أولادهم، وتربية أطفالهم، أطفال اليوم، وأسياد الغد:

لاتَزْدُرَنَّ صِغارَاً في مَلاعِبِهم فَجائزٌ أَنْ يُرَوا ساداتِ أَقوامِ
وَأَكْرِمُوا الطِّفْلَ عَنْ نُكْرٍ يُقالُ لَهُ فَإِن يَعِش يُدعَ كَهْلَاً بَعدَ أَعوام

(نفسه، ج٢ :٣٥١-٣٥٢)

وهو يهاجم الذين لا يهتمون بهذه القضية، ويدعون أطفالهم، ولا يأبهون لتربيتهم:

كِبارُ أُناسٍ مِثلُ جِلَّةِ سائِمٍ يُرَبُّونَ أَطفالاً كَما اِرتَضَعَ البُهْمُ

(نفسه: ٢٦٧)

- أسباب نشأة نظرية جناية الأب على الابن عند أبي العلاء المعري:

يعد تشاؤم أبي العلاء من الحياة ومن البشرية جزءاً مهماً في بناء نظريته هذه، وثمة عوامل عديدة ساعدت على ظهور تشاؤم أبي العلاء حيال الحياة والبشرية، منها:

أولاً - العيوب الجسدية: فقد اعتل أبوالعلاء في سنته الرابعة وأصيب بالجدريّ، فما ابلّ من مرضه إلا وقد شوه وجهه بندوب لا برء منها، وصار وجهه قبيح الشكل طيلة حياته وذهب بصره إثرها، و آفة العمى هذه التي أصيب بها في باكورة صباه، «قد كان لها وقع شديد على نفسه الحساسة، وعقله الذكيّ، فظلّ طوال عمره مصاحباً بعقله وشعوره ووجدانه لهذه الآفة، لا تغيب عنه في يقظة أو منام، وفي وحدة أو اجتماع. تفيض نفسه دائماً بالمرارة والأسى، أن حرمته الحياة ما يولد عليه الناس، والحيوان، من نعمة البصر، الذي هو المرآة التي تتجلى على صفحاتها صحف هذا الوجود، وما بث الخالق سبحانه وتعالى فيه من آيات لا يشهد جلالها إلا المبصرون». (الخطيب، ١٩٨٨: ٢٣)

ومما لا شك فيه أنّ هذه الآفة تعد سبباً رئيساً من أسباب تشاؤمه، والتي عاش معها طوال حياته:

وَلَطالَما صَابَرتُ لَيلَاً عاتِماً فَمَتَى يَكُونُ الصُبْحُ والإِسْفارُ

(نفسه،ج١: ٣٨١)

«وما من شك في أنه قد أحس منذ أول عهده بهذه المحنة الطبيعية فرقاً عظيماً بينه وبين أترابه. وما من شك في أن إحساسه بهذا الفرق قد آلمه وآذاه وأسبغ على نفسه شيئاً من الكآبة المتصلة القاتمة، واضطره إلى كثير من التحرج والتحفظ والاحتياط في سيرته العلمية». (حسين، لا.تا: ٥٦) ويقرّ أبو العلاء نفسه بهذا الشيء في قوله: «وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الأبصار نقيل،[١٢] قضى عليّ وأنا ابن أربع، لا أفرق بين النازل والطالع». (الحموي، ١٩٩١: ٤٣٧)

وفقد البصر يشكل أحد السجون الثلاثة المعهودة عند أبي العلاء:

أَراني فِي الثَلاثَةِ مِنْ سُجُونِي فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الخَبَرِ النَبيثِ
لِفَقْدِيَ ناظِري وَلُزُومِ بَيتِي وَكَونِ النَفسِ في الجِسْمِ الخَبِيثِ

(نفسه، ج١: ٢٠٤)

ثانياً - موت الوالدين: فبالرغم من أن أبا العلاء يعدّ حياته وولادته جناية من قبل والديه[١٣] وخاصة أباه، إلا أنه مدين له بحياته العلمية والأدبية كلها، إذ اهتم به أبوه ولقنه أصناف العلوم والفقه والسير وغيرها وبهذا يعدّ أوّل معلم لأبي العلاء في حياته الأدبية، وقد فقده في الرابعة عشرة من عمره[١٤]، وحزن لفقده حزناً شديداً من غير شك. (حسين، لا.تا: ٦٥) أما

فقدان أمه فيرجع إلى سنة ٤٠٠ هـ.ق. عندما عاد إلى المعرة، وتركت هذه الحادثة أثراً عميقاً في نفس أبي العلاء وفي فكره، ونعاها من دفقات روحه وجروحه[١٥]، فيقول:

فَإِن تَقْطَعِي مِنْكِ الرجاءَ فَإِنَّهُ سَيَبْقَى عَلَيكِ الْحُزنُ ما بَقِيَ الدَّهْرُ

(الحلح، ٢٠٠٦: ١٥-١٩)

ثالثاً – وحشته وانعزاله عن الناس: فضلاً عن المشاكل الجسدية والنفسية التي يعانيها أبو العلاء المعري، فثمة عامل آخر يعاني منه في حياته وهو الوحشة والانعزالية، وهذا الأمر يشكل السجن الثاني الذي عبر عنه في أشعاره:

أَرانِي فِي الثَلاثَةِ مِنْ سُجُونِي فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الخَبَرِ النَبيثِ
لِفَقْدِيَ ناظِري وَلُزُومِ بَيتِي وَكَونِ النَفسِ في الجِسْمِ الخَبِيثِ

(نفسه،ج١: ٢٠٤)

و لم يشهد التاريخ العربي والإسلامي على مدى أربعة عشر قرناً من الزمن «رجلاً ارتبطت حياته بالعزلة والتقشف والتعفف ما ارتبطت بأبي العلاء المعري، إذ أصبح علماً عليها، يلازم منزله حوالي خمسين سنة...». (خرسباني، ١٩٩٠: ٤٩)

و لقد أدت عوامل عديدة إلى اعتزاله ووحشته، منها سوء معاملة الناس له، إذ يعدّ البعد عنهم سلامة:

بُعدي مِنَ النّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقامِهِمُ وَقُرْبُهُم لِلْحِجى وَالدينِ، أَدْواءُ

(نفسه، ج١: ٥٢)

ويختار التوحد على معاشرة الناس ويحسبه نعمة كبيرة[١٦] في الحياة:

وَأَرَى التَّوَحُّدَ في حَياتِكَ نِعْمَةً فَإِنِ اسْتَطَعْتَ بُلُوغَهُ فَتَوَحَّدِ

(نفسه: ٣١٩)

رابعاً– ظروف الحياة المتوترة والسيئة: فقد ولد أبو العلاء في عصر تميز بالشقاق والفرقة بين أبناء العروبة منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، و«لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الحوادث السياسية التي تقلبت على حلب والمعرة منذ نشأة المعري إلى أيام شيخوخته كانت سلسلة من الأهوال والفتن تركت أثراً عميقاً في نفسه وبالتالي في شعره». (حسين وآخرون، لا.تا: ٣٨-٣٩) فالثورة العباسية على البنية السياسية والاقتصادية التي كان يمثلها الحكم الأموي، وكون الحمدانيين في شمال بلاد الشام، والفاطميين في مصر، وتوالي الهزائم التي لحقت بالعرب في حروبهم ضد الروم تدل هذه الأمور كلها على الواقع الأليم، و«للواقع السياسي الأليم يجنح وجدان الأدباء والشعراء، ويستخلصون القيم والعظات، وكان لا بد لأبي العلاء من أن يتأثر بالأحداث الجسام التي عصفت بالشام والعراق». (خرسباني، ١٩٩٠: ٣٥) فقد وصف لنا أبو العلاء هذه الظروف الأليمة والمتوترة، إذ يقول:

وَمَهْلِكُ دَوْلَةٍ وَقِيامُ أُخْرَى كَذلِكَ الدَّهْرُ أَمْرٌ بَعْدَ أَمْرِ

(نفسه، ج١: ٤٥٦)

إذ شهد «المجتمع العربي الإسلامي أيام أبي العلاء تمزقاً سياسياً، وتصدعاً اقتصادياً، ونشأت خلافات عنيفة في جميع الأصعدة، وعصفت فيه سلبيات متعددة وخطايا كثيرة باسم الدين، وهيمن الشر على البقاع، وطغى الفساد على الإصلاح، وغاب عن كرسي الحكم السلطان العادل والوازع الديني، كما اندثرت الأخلاق والمثل السامية. وركب الناس الجوع، فانتشرت

الفوضى والتكالب على المطامع والثروات في هذا الجو القاتم والموبوء فقدت العوامل المؤثرة في الصلات بين أفراد الأمة؛ ابتداءً من رأس الهرم حتى القاعدة الشعبية المسحوقة». (خرييان، ١٩٩٠: ٣٥- ٤٠)

وأبو العلاء خير من وصف هذه الأمور، فهو من جانب يعبر عن الواقع السياسي الأليم الذي عم فيه الفساد، والظلم، والجهل، بسبب أوامر الحكماء الظالمين وتلبية الناس الجاهليين، وهو من جانب آخر يعبر عن انزعاجه وحزنه لهذا الواقع الأليم:

مَلَّ المُقامُ فَكَم أُعاشِرُ أُمَّةً أَمَرَتْ بِغَيرِ صَلاحِها أُمَراؤُها
ظَلَموُا الرَّعيةَ وَاستَجازُوا كَيدَها فَعَدَوا مَصَالِحَها وَهُم أُجَراؤُهَا

(نفسه، ج١: ٥٦)

ويكره الحياة في زمن يسوده خسيسون على المناصب الحكومية:

يَسُوسُونَ الأُمُورَ بِغَيرِ عَقْلٍ فَيَنْفُذُ أَمْرُهُم وَيُقالُ ساسَهْ
فَأُفَّ مِنَ الْحَياةِ وَأُفَّ مِنّي وَمِنْ زَمَنٍ رِئاسَتُهُ خَساسَهْ

(نفسه: ٥٦٠)

ويعبر عن جهل الناس وتحملهم الظلم والحقارة:

مَا أَجْهَلَ الأُمَمَ الذينَ عَرَفْتُهُم وَلَعَلَّ سالِفَهُم أَضَلُّ وَأَبْتَرُ
يَدْعُونَ فِي جُمَعَاتِهِم بِسَفَاهَةٍ لِأَمِيرِهِم فَيَكادُ يَبكِي المِنبَرُ

(نفسه: ٣٦٤)

وفضلاً عن كل هذه الأمور زادت أمور أخرى في توتر الأوضاع السياسية والاجتماعية وتفكك المجتمع وتمزيق أواصله، منها: تولي الأعاجم المناصب الهامة والرئيسة في الخلافة الإسلامية آنذاك، وكثرة الجواري والمغنيات، و تعدد الزوجات والأمور الأخرى التي ساعدت أبا العلاء وأقنعته بأن إصلاح بنيان المجتمع أمر مستحيل ولا سبيل للخلاص من كل هذه الفتن إلا بالهدام البنيان البشرية.

إذ يعبر أبو العلاء عن هذا الواقع الأليم بقوله: «إن كان هذا هو العالم: ملوك تظلم ولا ترحم، تبحبح[١٧] في النعم ولا تشعر بمن يتألم، وقضاة تعسف ولا تنصف، وفقهاء ووعاظ ونساك تتخذ من دينها ستاراً لاقتناص الأموال وشباكاً للاستغلال، وعقل مغلوب على أمره لا يسمع لنهيه ولا أمره، وناس نطقوا بالصواب خنقوا أصواتهم، وإن نطقوا بالمحال رفعوا عقيدتهم، وخرافات تجول وتصول، وحكمة تذوب وتزول، وكل ما في العالم ظلم يسلم إلى ظلم، إنسان يفترس أسداً وأسد يغتال ذئباً، وذئب يقتنص شاة، فأي خير في الوجود يستحق البقاء؟ وأي عدل فيه يستوجب الثناء؟ لا لا، والخير للعالم أن يفنى في لحظة، ويمحق في لمحة». (حسين وآخرون، لا.تا: ٣٦)

خامساً- فلسفة أبي العلاء الخاصة: الحزن والتشاؤم الناتج عن المشاكل الجسدية وموت والديه وانعزاله عن الناس خمسين سنة والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتوترة من جانب، واعتماده الكثير على التفكير والعقل - خاصة في عصر ازدهرت فيه الثقافة الإسلامية والعربية بكاملها - من جانب آخر، أدت هذه الأمور كلها إلى سلسلة من الاعتقادات والأمور الخاصة التي تشكل فلسفة أبي العلاء المعري في عقيدته وسلوكه، منها:

الشك والحيرة: إن أبا العلاء لم يخضع في فهمه للحياة لأصل ثابت من أصول المعرفة، رغم أنه يؤمن إيمانا تاماً بالفكر والعقل:

فَشاوِرِ الْعَقْلَ، وَاتْرُك غَيْرَهُ هَدَرَاً فَالْعَقْلُ خَيرُ مُشيرٍ ضَمَّهُ النادِي

(نفسه،ج ١: ٣١٠)

ولكنه «لا يثبت على إيمانه بالعقل ولا يطمئن إلى عجز العقل وقصوره. وإنما يقف متردداً حيث لا يستطيع أن تضمه إلى فريق من المفكرين، فهو ليس عقلياً؛ لأنه لم يثبت إيمانه بالعقل. وليس هو سوفسطائياً؛ لأنه لم يطمئن إلى عجز العقل، وليس شكاكاً لا أدرياً؛ لأنه تيقن حيناً، وائتم بالعقل حيناً ». (العلايلي، ١٩٨٦: ١١٨)

أَمَّا الْيَقينُ فَلَا يَقينَ، وَإِنَّما أَقصى اِجْتِهادِي أَنْ أَظُنَّ وَ أَحدِسا

(نفسه، ج١: ٥٦٠)

ويروي الحموي: «وقد حدثنا عن أبي زكريا أنه قال: قال المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليوم أقف على اعتقاده، فقلت له: ما أنا إلا شاك، فقال: وهكذا شيخك». (الحموي، ١٩٩١: ٤٠٧)

لذلك نجده دائماً في اضطراب، يقطع بالجبر حيناً، ويقطع بالاختيار حيناً آخر، وكان متردداً بين هذا وذاك، ولاسيما أنه قضى نحو نصف عمره في القرن الرابع الهجري والنصف الآخر في القرن الخامس، فيكون قد عاصر الثقافة الإسلامية في عنفوان نشاطها – نضج العلوم اللغوية – وبلغت علوم الفلسفة، والرياضية والطبيعة والتاريخ أوجها، وتعددت واستقرت المذاهب الدينية كالخزرجية، والشيعية، والمعتزلية، والأشعرية، والصوفية، والسلفية، والقرمطية، واستفاد أبو العلاء من هذه الأمور كلها لبناء آرائه الفلسفية والدينية.

٢–٢. نظرية «جناية الأب على الابن» عند فريدون توللي

لقد عبر فريدون توللي عن حياته بوصفها جناية من جانب أبيه في مجموعته الشعرية «نافه»، وفي قصيدته «ننگ درنگ»، (توللي، ١٣٨٠: ٢٠٨) الأمر الذي يدل على تشاؤمه بالنسبة إلى الحياة، وثمة أسباب عديدة ساعدت على نشأة هذه النزعة التشاؤمية منها:

أولاً– موت الوالدين والأقرباء: ذلك أن أحد الأسباب الرئيسة التي عملت على نشأة عاطفة الحزن والألم عند فريدون توللي هو موت الوالدين والأقرباء، خاصة موت أمه في حين لم يبلغ من عمره إلا ست سنوات؛ ولذلك يهدي إليها قصيدة «ناودان» كاتباً في بداية القصيدة «إلى روح أمي المطهرة التي ماتت عندما كنت في السادسة من عمري». (توللي، ١٣٨٠: ٣٥٥) بالإضافة إلى موت صديقه الحبيب «عبدالله عفيفي» الذي طالما وقف بجانبه في لحظات الشدة؛ ولذلك قدم إليه إحدى قصائده تحت عنوان «مرگ عفيفي» (موت العفيفي) ويقول فيها:

وايا به حال زار تو، وايا كه همچو شمع آه، لقصتك المؤلمة... آه، كالشمع
يك عمر سوختى و كست اعتنا نكرد احترقتَ طوال حياتك ولم يتنبّه إليك أحدٌ
يك عمر سوختى كه ننالد كسى ز رنج احترقتَ طوال حياتك كيلا يتأوه للمصاعب أحدٌ

يك عمر سوختى كه نسوزد دلى ز درد... (توللي، ١٣٨٠: ١٠٥): احترقت طوال حياتك كيلا يحترق قلبٌ من الألم

كما أثر في نفسه موت «سيد علي آذري» أحد أصدقائه الآخرين الذي تأسف الشاعر لموته كثيراً. (نفسه: ٣٩٤)

ياران همه رفتند و، يكى باز نمانده است مات الأصدقاء كلهم ولم يبق منهم واحدٌ

يك همدم خوش، در همه شيراز نمانده است (نفسه: ٤١٣) في كل «شيراز» لم يبق أنيس واحدٌ

وأثر في نفسه كذلك سجن بعض الوجوه البارزة والشعبية كـــ «محمد مصدق» مما أثّر في مشاعر الشاعر، وأجلب له الحزن والألم. (نفسه:٣٩٩)

ديدم كه زياران كهن كس نيست ما وجدت من الأصدقاء القدامى أحد
جز يك دو سه تن خسته وافسرده سوى قلّةٌ هم المتعب و الكئيبُ
وان جمع پراكنده يكايك – آه – وذاك الجمع الحاشد منهم – آه –

يا غرق خيانت شده يا مرده (تولّلي، ١٣٨٠: ١٣١): إما تعرضوا للخيانة، و إما ماتوا.

ثانياً- الوحشة والانعزال: فقد كان لموت الوالدين والأقرباء، وأوضاع السياسية المتوترة التي أدت في بعض الأحيان إلى أن يعيش الشاعر عدة سنوات في الخفاء، وسوء معاملة الناس له، أدت به هذه الأمور كلها إلى اختيار العزلة والوحشة طوعاً أو كرهاً:

همه بيزارى وبيزارى و بيزارى ! إزعاج وإزعاج وإزعاج !
همه ناكامى و نادانى و رسوائى ! خيبة و جهل و فضيحة !
همه افسوس‌كنان ازغم بى مهرى ! كل الأسف لعدم المحبة !

همه اندوه به جان از تب تنهايى ! (توللي، ١٣٨٠: ١٧٤) كل الحزن من حمى الوحشة !

ويقول في مكان آخر:

شمعم نفسى ماند و سپس جان داد لفظ شمعي آخرَ أنفاسه ثم مات
من ماندم و تاريكى و تنهايى... بقيت والظلمة والوحشة...
لغزيد شب از نيمه به نيمى باز مضى شطر من الليل ومرة أخرى

من ماندم و تنهايى و خاموشى... (توللي، ١٣٨٠: ١٢٩-١٣٠) بقيت والصمت والوحشة...

وفي الجانب الفني، فقد وظف الشاعر في قصيدته «دور» (البعيد) إحدى أدواته الفنية وهي «التكرار» وذلك حينما كرر لفظة العنوان «دور» (البعيد) اثنتي عشرة مرة من مجموع الأبيات التي بلغت ثلاثة عشر بيتاً ليعبر عن عزلته ووحشته. (نفسه:٦٩)

ثالثاً- ظروف الحياة المتوترة: من الأسباب الرئيسة الباعثة على تشاؤم الشاعر تجاه الحياة، الظروف السياسية المتوترة التي عاناها الشعب عامة والأدباء والشعراء خاصة والتي تمثلت في دخول «الحلفاء» في إيران و إثارة الفوضى، وعدم الاستقرار والثبات في أنحاء البلاد من جانب، وسجن الشعراء والأدباء المثقفين[١٨] وقتلهم في حكومة «رضا خان» من جانب آخر، الأمر الذي أدى إلى سيادة الفوضى واللانظامية في إدارة الحكومة الإيرانية آنذاك. كما كان للمؤامرات والانقلابات التي ظهرت في الساحة السياسة الإيرانية أثرٌ كبيرٌ في إثارة الفوضى والتشتت، فقد احترق بيت الشاعر في انقلاب ومؤامرة سنة ١٩٥٣، وهذا ما أدى إلى تشرد الشاعر والعيش بشكل خفي في جو قاتم بعيد عن الأسرة. (لنگرودي، ١٣٨٤: ٣٠٩ – ٣١٧)

٢-٣. تأثر فريدون توللي بنظرية «جناية الأب على الابن» لأبي العلاء المعري

بالرغم من تشابه الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية بين الدول العربية وإيران، وبالرغم من وجود الأسباب والعوامل المتشابهة عند كلا الشاعرين لنشأة نظرية «جناية الأب على الابن»، وبالرغم من البعد الزمني بين هذين الشاعرين،

وكذلك اشتراك النزعات الإنسانية، والعالمية بين أدباء العرب والفرس فيما يخص قضايا الحياة، والموت، والبعث، والجبر وغيرها، فثمة دلائل واضحة لا يمكن لأحد إنكارها بأن فريدون توللي قد تأثّر بأبي العلاء المعري في بناء نظريته «جناية الأب على الابن»، وخاصة بهذا البيت الذي أوصى فيه أبو العلاء المعري أصدقاءه أن يكتبوا على قبره:

هَذا ما جَناهُ أَبي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدْ

(ابن خلكان، لا.تا: ١١٥؛ العباسي، ١٩٧٤: ١٤٥)

ومتأثراً بهذا البيت أنشد فريدون توللي قصيدته الشهيرة المسماة بـــ «ننگ درنگ» (عار التأخير):

ننگ درنگ: عار التأخير

چيست بازيگر بيهوده شدن؟	ما الفائدة من الوجود السائر نحو الفناء؟
به «گناه پدر» آلوده شدن؟	وتدنيس المرء «بجناية أبيه»؟
زير اين يوغ گرانبار حيات	تحت هذا النير الثقيل للحياة
سر فرو بردن فرسوده شدن؟	الانكماش في النفس و البلى؟
عمر چونان ره و ما رهگذريم	العمر كالطريق ونحن عابروه
تا به كى در ره پيموده شدن؟	إلى متى نمشي في الطريق الذي طالما قطعناه؟
بود ما چيست در اين چرخ كبود؟	ما الغاية من وجودنا في فلك الحياة ؟
تا در انديشه نابوده شدن	كي نفكر في الفناء والموت
آسيا را خبر از دانه مپرس	لا تسأل الرحى عن الحبوب
كار آن گشتن و اين سوده شدن	عمل ذلك الدوران وعمل هذا الانطحان
جاودان است جهان، گر چه مدام	العالم باق، ولو كان دائماً
كاستن گيرد و افزوده شدن	ينقص منه، ويزيد فيه
اين منم با تو كه ميبايدمان	ها أنا وأنت، يلزمنا
دودمان هشتن وازدوده شدن	ترك السلالة، والانفصال عنها
سخت شرمنده ام از ننگ درنگ	آسف جداً لعار التأخير

اى خوشا مردن و آسوده شدن (توللي، ١٣٨٤: ٢٠٨) : ليتنا نموت و نستريح.

فثمة دلائل عديدة لا تترك المجال للشك بأن فريدون توللي قد تأثر بأبي العلاء المعري في إنشاد قصيدته هذه، بعض منها يرتبط بداخل النص وبعض آخر يرتبط بخارج النص:

٢-٣-١. الدليل[1] الداخلي (١٩)

فدارس قصيدة فريدون توللي، يتكشف له من النظرة الأولى أن المفاهيم الموجودة في هذه القصيدة، خاصة البيت الأول منها:

چيست بازيگر بيهوده شدن؟ (ما الفائدة من وجود الذي يسير نحو الفناء؟)

به «گناه پدر» آلوده شدن؟ (وتدنيس المرء «بجناية أبيه»؟)

[1]-Internal Evidence

توافق هذا البيت لأبي العلاء المعري:

هَذا ما جَناهُ أَبي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدْ

ولاسيما أن هناك في كلتا القصيدتين إشارة واضحة وصريحة لكلمة «جناية الأب» أو «گناه پدر»، فعندما نتأمل النص الفارسي نجد أن الشاعر فريدون توللي وضع كلمة «گناه پدر» بين قوسين معبراً في ذلك عن أخذها أو اقتباسها من أبي العلاء المعري. (توللي، ١٣٨٤: ٢٠٨)

٢-٣-٢. الدليل[1] الخارجي[٢٠]

يقرّ فريدون توللي بأنّه كتب قصيدته «ننگ درنگ» (عار التأخير) متأثراً بأبي العلاء المعري، إذ يكتب في بداية قصيدته هذه المكتوبة في ١٣٣٩/١٠/١١ هـ.ش (١٩٦٠):

«ذا ما جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

من از گناه پدر، رنگ هستی به خود گرفتم وخود دست بدین گناه نیالودم. ابوالعلاء المعري» (توللي، ١٣٨٤: ٢٠٨)

ولاسيما أنّ الشاعر الفارسي فريدون توللي كان يكتب في بداية كثير من قصائده السبب الرئيس لإنشاد القصيدة، كما أنه كان يكتب تأريخ كتابة القصيدة، الأمران اللذان راعاهما في هذه القصيدة، اللذان يجعلان منه مؤرخاً أميناً في توثيق قصائده، وبهذا الإقرار لم يترك لنا مجالاً للشك في أنه كتب قصيدته هذه متأثراً بأبي العلاء المعري.

-كيفية تعرف فريدون توللي إلى أبي العلاء المعري وبيته المشهور:

«هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد»

٢-٣-٣. الطريق المباشرة[٢١]

فبالرغم من أنه ليس هناك دليل قاطع وواضح بأن فريدون توللي يتقن اللغة العربية، وبإمكانه أن يستخرج المعاني والمضامين المطلوبة مباشرة من النصوص العربية، أو بإمكانه أن يحصل على المصادر والمراجع التي ترتبط نحواً ما بأبي العلاء المعري و ببيته المشهور، فليس ثمة أيضاً من دليل قاطع يثبت أنه لا يتقن اللغة العربية، ونحن نعتقد بأنه كان ملماً نوعاً ما باللغة العربية وآدابها، شأنه شأن كثير من الشعراء والأدباء الفرس الذين يجيدون هذه اللغة، ولديهم معلومات ليست قليلة عن الأدب العربي عامة والشعر العربي خاصة، و لم يذكر في سير حياتهم أنهم يجيدون اللغة العربية نوعاً ما. كيف لا وسادت اللغة العربية سائدة في بلاد الفرس بعد الفتح الإسلامي لمدة غير قصيرة، بوصفها اللغة الأولى والرسمية التي تستخدم في المكاتبات والرسائل، وإنه كانت قد نزلت عن هذه المرتبة لتصبح فيما بعد اللغة الثانية بعد اللغة الفارسية حتى أيامنا الحالية، فضلاً عن الكلمات والمصطلحات العربية الكثيرة التي تستخدم حالياً على الصعيدين الرسمي والشعبي.

والأمر الذي يؤيد صحة قولنا بأنه يتقن اللغة العربية نوعاً ما، هو عنوان أحد كتابيه النثريين، الذي تطرق فيه إلى نقد المسائل السياسية والاجتماعية بلغة ساخرة وهو «التفاصيل»، إذ استخدم كلمة «التفاصيل» بلفظها العربي، ومعرفاً ب «الـ». كما أنّ ذكره بيت أبي العلاء بأسلوبه العربي في ديوانه يدل على إتقانه اللغة العربية.

ونحن نعتقد أن فريدون توللي استطاع أن يتعرف إلى أبي العلاء المعري، وبيته المشهور:

«هَذا ما جَناهُ أَبي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدْ»

---

[1] - External Evidence

لا من خلال دواوين أبي العلاء الشعرية مباشرة، بل من خلال النصوص العربية، وتحديداً من خلال كتابين شهيرين في العالمين العربي والفارسي وهما: معجم الأدباء لياقوت الحموي ووفيات الأعيان لابن خلكان. والأمر الذي يؤيد صحة قولنا هو أن هذا البيت لم يرد في دواوين أبي العلاء الشعرية ولا في مؤلفاته النثرية، بل هو بيت رواه لنا ابن خلكان في ترجمته لسيرة حياة أبي العلاء، فقد أورد قولاً على لسان أحد أصحاب أبي العلاء أنه وصّى بأن يكتب هذا البيت على قبره. (ابن خلكان، لا.تا: ١١٥) وهذان الكتابان اللذان يعدان من الكتب الشهيرة في البلدان العربية و في إيران على حد السواء.

٢-٣-٤. الطريق غير المباشرة[٢٢]

لقد تعرف فريدون توللي إلى شخصية أبي العلاء المعري وسيرته الذاتية ونبوغه العلمي والأدبي وزهده، من خلال قراءته لأمهات الكتب الفارسية ولاسيما من خلال قراءته لـــ *سفرنامه ناصر خسرو* (رحلة ناصر خسرو)، التي تعد إحدى الرحلات الشهيرة في العالم والشرق عامة، وفي العالم الإسلامي والفارسي والعربي على وجه التحديد، خاصة أن ناصر خسرو خص قسماً غير قصير من نص رحلته هذه لأبي العلاء وسلوكه وطريق حياته وأدبه وعلمه و... حيث يقول:

«وكان بهذه المدينة – معرة النعمان – رجل أعمى اسمه أبو العلاء المعري. وهو حاكمها. وكان واسع الثراء عنده كثير من العبيد، وكان أهل البلد كله خدم له. أما هو فقد تزهد، فلبس الكلتم، واعتكف في البيت، وكان قوته نصف منّ من خبز الشعير، لا يأكل غيره. وقد سمعت أن باب سراياه مفتوح دائماً، وأن نوابه وملازميه يدبرون أمر المدينة، ولا يرجعون إليه إلا في الأمور الهامة، وهو لا يمنع نعمته أحداً، يصوم الدهر، ويقوم الليل، ولا يشغل نفسه مطلقاً بأمر دنيوي. وقد سما المعري في الشعر والأدب إلى حد أن أفاضل الشام والمغرب والعراق يقرّون بأنه لم يكن من يدانيه في هذا العصر ولا يكون. وقد وضع كتاباً سماه «الفصول والغايات»، ذكر به كلمات مرموزة وأمثالاً في لفظ فصيح عجيب؛ لا يقف الناس إلا على قليل منه، ولا يفهمه إلا من يقرأه عليه. وقد اتهموه «بأنك وضعت هذا الكتاب معارضة للقرآن». ويجلس حوله دائماً، أكثر من مئتي رجل: يحضرون من الأطراف، يقرؤون عليه الأدب والشعر. وسمعت أن له أكثر من مئة ألف بيت شعر. سأله رجل: «لمَ تعط الناس ما أفاد الله تبارك وتعالى عليك من وافر النعم ولا تقوت نفسك ؟» فأجاب: «إني لا أملك أكثر مما يقيم أودي». وكان هذا الرجل حياً وأنا هناك. (ناصرخسرو، ١٩٨٣: ٤٥ و ٤٦؛ نفسه، ١٣٨٢: ١٣٠ و١٣١).

٢-٤. أبعاد نظرية «جناية الأب على الابن»

تختلف نظرية «جناية الأب على الابن» عند أبي العلاء المعري عنها عند فريدون توللي، بسبب اختلاف وجهتي نظرهما تجاه الحياة والكون والموت، وبسبب اختلافهما في اعتقاداتهما وآرائهما واعتمادهما على المصادر والمراجع المختلفة في هذا المجال، الناتجة عن اختلافهما في البيئة التي ولدا فيها وعن اختلافهما في طريقة حياتهما وفي نفسية كل منهما.

فالحياة في نظر أبي العلاء ليست سوى هبة أثيمة من جانب الأب للابن، وإنه يكرهها ويسخط عليها سواء أأعجزته أم زهد فيها، لذلك رفض أبوالعلاء أن يتزوج طوال حياته، وأن يهدي لأولاده تلك الهبة الأثيمة التي أتاه إياها أبوه، و لم يرض أن يأتي بنسل، ويتركهم في جحيم الحياة، وبهذا أعلن أبو العلاء معركة على الحياة، وعلى من يدخلها، وفي رأيه أن البشرية كلها أشرار، وليس هناك مجال لإصلاحها، إذن ليس هناك حرص على النسل في حياة؛ بل الحياة هي جناية من قبل آباء قساة على أبناء ضعفاء. «فالأمر عند المعري لم يكن مجرد قلق نفسي، أو تشاؤم سطحي ينتابه في أوقات مختلفة متفاوتة، وإنما هو موقف وجودي تكامل من خلال شعور مدرك وغامر بعبثية الكون، وفقدان الهوية والمنطق في الحياة والإنسان جميعاً. ومن هذا

المنطلق الشعوري والفكري رفض المعري الوجود -سلوكاً واعتقاداً – فانقطع عن الزواج، واقتصر طعامه على العدس والتين، وخشن الفراش والثياب وبارد الماء صيفاً وشتاء، إلى الامتناع عن وسائل الرفاهية». (خرياني، ١٩٩٠: ٧٦ -٧٧)

ومن هنا اعتقد أبو العلاء بالعبث واللاجدوى من الحياة، و لاغائية الكون، وجبرية الإنسان. فالدنيا وما فيها – في نظره – لا يستحقان البقاء لحظة، فليت العالم الإنساني ينقرض في لمحة:

وَلَيْتَ وَلِيداً مَاتَ سَاعَةَ وَضْعِهِ وَلَمْ يَرْتَضِع مِنْ أُمِّهِ النفَسَاءِ

(المعري، ١٩٩٢، ج١: ٦٢)

والعالم و ما فيه شر، وشر مافيه الإنسان، وهذا دأبه منذ خلق، وطبيعته منذ وجد، فلم يكن يوماً براً ففجر أو صالحاً ففسد، (حسين والآخرون، لا.تا: ٢٩و٣٠) بل:

وَهَكَذا كَانَ أَهْلُ الأَرْضِ مُذْ فُطِرُوا فَلا يَظُنُّ جَهُولٌ أَنَّهُم فَسَدُوا

(المعري، ١٩٩٢: ٢٦٣)

فنظرة أبي العلاء إذن إلى هذه القضية، هي نظرة فلسفية[٢٣]، يرى من خلالها أن البشرية أساس الشقاء، ولا يمكن أن يزول هذا الشقاء بالإصلاح؛ وإنما يزول فقط إذا أمحي النسل البشري عن الوجود. لذلك يوجه أبو العلاء الخطأ إلى البشرية كلها إلى كل الآباء وكل الأمهات، وحتى عندما يتحدث عن آدم وحواء، يتحدث عنهما بوصفهما رمزاً للآباء والأمهات في كل الأزمنة، وفي كل مراحلها:

وَمَا آدَمٌ فِي مَذْهَبِ الْعَقْلِ وَاحِدٌ وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْقِياسِ أَوادِمُ

(نفسه، ج٢: ٢٨١)

إذن فظاهرة «جناية الأب على الابن» خرجت عن كونها ظاهرة بسيطة يعبر عنها أبو العلاء في اللحظات التي تسود فيها عاطفة القلق والتشاؤم والحيرة، ودخلت إلى نظرية فلسفية كاملة شاملة، ذات حدود وأبعاد محددة عبّر عنها أبو العلاء في أبيات كثيرة في دواوينه، وفي حياته الشخصية حيث لم يتزوج ومن ثم لم يرزق طفلاً حتى نهاية حياته. ولكن الأمر يختلف عند شاعرنا الفارسي فريدون توللّي، هذه الظاهرة – جناية الأب على الابن – ظلت عنده ظاهرة سطحية وبسيطة، عبر عنها الشاعر في حالاته التشاؤمية، و لم تخرج هذه الظاهرة عن هذا النطاق، لا في مجموعاته الشعرية الخمس ولا في حياته التي بلغت ستاً وستين سنة. لأنه لم يعتقد بهذا الأمر اعتقاداً تاماً، وكان الأمر عنده مجرد توارد خواطر وحسب. لأن حياته تختلف عن حياة أبي العلاء المعرّي، ومشاكله تختلف عن المشاكل الكثيرة التي واجهها أبو العلاء منذ طفولته وحتى نهاية حياته، كما أن شخصيته تختلف عن شخصية أبي العلاء المعري، شخصية الشاعر الفارسي كانت شخصية متراوحة، نجد فيها نوعاً من عدم الثبات، وعدم تقيدها بشيء خاص، ويتكشف هذا الأمر لنا من خلال أعماله المتناقضة الكثيرة في حياته الشعرية والشخصية، بدءاً بالذهاب ثلاث مرّات إلى مدينة طهران للبقاء فيها ومن ثم رجوعه منها، كما تبين هذه الشخصية المتذبذبة من خلال أعماله السياسية، نراه وهو يقف إلى جانب الشعب في وجه الحكومة الظالمة آنذاك، ويعبر عن أحاسيسه ومشاعره الثورية بأروع ما قيل في الأدب الثوري في الشعر الفارسي المعاصر، (توللي، ١٣٨٤: ٤٩) وكتب كتابه *التفاصيل* في نقد الأوضاع السياسية السيئة وفي نقد الوجوه السياسية، ولكن لا يمضي وقت طويل حتى نجده وهو يقدم مجموعتيه الشعريتين «پويه» و «شگرف» إلى رئيس الوزراء أسد الله علم الذي كان شهيراً بظلمه وجبروته على الناس، كما نراه وقد التحق بالحزب الشيوعي الإيراني سنة ١٣٢٣هـــ.ش (١٩٤٤)، ولكن سرعان ما انفصل عنها سنة ١٣٢٦ هـــ.ش (١٩٤٧)، كما يبين

هذا الأمر من خلال دعوته إلى التقيد واستخدام الشعر الحر- شعر التفعيلة – في بداية حياته الشعرية، وتقليده لنيما يوشيج رائد الشعر الحر في الأدب الفارسي، في حين قام بعد فترة بذمه وسبه في مقالاته وأشعاره واصفاً إياه وأصحابه بهادمي بنيان الشعر الفارسي، ورجع إلى الطريقة الكلاسيكية، وأنشد الشعر بطريقة القدماء. ولذلك ورغم تعبيره عن ظاهرة «جناية الأب على الابن»، فقد تزوج ورزق بثلاث فتيات.

وفي مقابل هذه الشخصية المتذبذبة نشاهد شخصية أبي العلاء بوصفها شخصية قوية وراسخة، يلازم منزله حوالي خمسين سنة، أمضى منها مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم، وبسبب اعتقاده بفساد البشرية، ونظرته الفكرية الخاصة إلى الحياة، ورجحان تعطيل النسل فيها، لم يتزوج حتى نهاية حياته. كما أن هذه النظرية عند أبي العلاء ترتبط بكثرة تفكيره واستقصائه حول الحياة والموت، كثرة تفكيره في الكون والبشرية، وكثرة اعتماده على العقل، وسلوكه طريق الشك والحيرة في الخلق، والموت، والبعث، وغيرها، واختيار العدم، والموت على الحياة على أسس عقلية، وفكرية، وفلسفية، إذ اعتقد أن البشرية كلها فاسدة، ولا سبيل لإصلاحها، والدنيا وما فيها شر لا تستحق الدخول فيها، والموت أفضل من الحياة. ولكن نشأة هذه الظاهرة عند الشاعر الفارسي ترتبط باللحظات التي غلبت عليه عاطفة التشاؤم والحزن، وترتبط بالأمور الحسية والسطحية أكثر من أن تكون مرتبطة بالأمور العقلانية والفلسفية، وعند تصفح ديوانه نجده قد استلهم أفكار الموت والعدم في مواجهته مع أجساد الأموات، إذ كان موظفاً لدائرة العلم الأثرية، وكان مفتشاً في أعمال التنقيب والبحث في المقابر والأماكن الأثرية. و لم يكن لديه عاطفة الشك والحيرة أمام الكون والبعث والنشور، كما آمن إيماناً تاماً بالبعث والنشور.

النتيجة

لقدتأثّر الشاعر الفارسي المعاصر «فريدون توللي» (١٩١٩– ١٩٨٥م) في إنشاد قصيدته الشهيرة «ننگ درنگ» بهذا البيت لأبي العلاء المعري:

هَذا مَا جَناهُ أَبِي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدْ

من خلال قراءته لـــ «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ولقد تعرّف إلى شخصية أبي العلاء المعري، و سيرة حياته من خلال الكتاب المذكور و معجم *الأدباء* لياقوت الحموي، بوصفهما من أشهر الكتب العربية الموجودة والمستخدمة في إيران، ومن خلال قراءته لـــ«رحلة ناصر خسرو» (سفر نامه ناصر خسرو) أيضاً، ولاسيما أن ناصر خسرو خص قسماً غير قصير من رحلته لأبي العلاء المعري، وحياته، وأدبه، وزهده. وفضلاً عن مضمون قصيدة «ننگ درنگ» الذي يتوافق مع مضمون بيت أبي العلاء المعري، الأمر الذي يقوم مقام الدليل النصي، فقد أقرّ الشاعر الفارسي في بداية قصيدته المكتوبة في تاريخ ١٣٣٩/١٠/١١ هـــ.ش (١٩٦٠ م) أنه كتب هذه القصيدة متأثراً بأبي العلاء المعري، الأمر الذي يقوم مقام الدليل فوق النصي، ولا يترك مجالاً للشك بأن فريدون توللي قد تأثر تأثراً واضحاً بأبي العلاء المعري في إنشاد قصيدته هذه. مع هذا فقد كان تأثر فريدون توللي بأبي العلاء المعري تأثراً شكلياً وسطحياً بحتاً، وإن كانت ظاهرة «جناية الأب على الابن» تعدّ نظرية كاملة وشاملة، وصفها أبو العلاء في حياته الشعرية، وحدد ملامحها في أشعاره، وراعاها في حياته الشخصية، والفردية، نتيجة اعتقاده، واعتباره الحياة جنايةً من قبل الآباء على الأبناء، وإعطائه إياها بعداً فلسفياً عقلانياً، فقد بقيت هذه الظاهرة عند فريدون توللي بوصفها الظاهرة التي ظلت آثارها ونتائجها محصورة في دواوينه الشعرية؛ بل في قصيدته الوحيدة «ننگ

درنگ» ولم تتسرب إلى حياته الشخصية، ولا حتى إلى حياته الشعرية؛ نتيجة عدم اعتقاده، واعتباره الحياة جناية من قبل الآباء على الأبناء.

الهوامش

(١) حل ما كتب وألف عن الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والفارسي يرتبط بالعصور الكلاسيكية، ماعدا بعض المحاولات القليلة التي ظهرت من خلال بعض المقالات والأبحاث الصغيرة، وبعض الرسائل والأطروحات الجامعية التي ظهرت حديثاً في بعض الجامعات العربية، ولاسيما في مصر وسوريا ولبنان، وبعض الجامعات الإيرانية.

(٢) كتأثر الشعراء الرومانتيكيين الفرس بـــ«جبران خليل جبران»، انظر: (خضري، ١٣٨٥: ١٤٣-١٤٤)

(٣) كتأثر جماعة الديوان برباعيات الخيام، انظر: (بكار: تأثر جماعة الديوان برباعيات الخيام، أبحاث ندوة: العلاقات الأدبية واللغوية العربية- الإيرانية، المرجع السابق، ص ٦٧ – ٩٠) و أيضاً: (جمعة، ٢٠٠٦)

(٤) للمزيد من الاطلاع حول مدارس الأدب المقارن انظر: (عبود وآخرون، ٢٠٠٠ – ٢٠٠١؛ غنيمي هلال، ٢٠٠١؛ السيد، ١٩٩٦)

(٥) شرح فيه ديوان أبي تمام.

(٦) شرح فيه ديوان البحتري.

(٧) شرح فيه ديوان المتنبي.

(٨) نيما يوشيج (علي اسفنديارى) (١٨٩٤-١٩٥٩) رائد الشعر الحر (شعر التفعيلة) في الشعر الفارسي المعاصر.

(٩) هواجل: القفار المتلفة.

(١٠) الذّود: عدد من النياق.

(١١) الرُبَع: الفصيل.

(١٢) نقيل: غريب.

(١٣) سَعى لِي والِداي بِغَيرِ لُبٍ وَسيَّان العرائِسُ وَالسّعالِي. انظر: (المعري، ١٩٩٢، ج٢: ٢٢٩)

(١٤) أي سنة ٣٧٧هـــ.ق.

(١٥) لقد رثا أبو العلاء أمه بقصيدتين بلغت الأولى أربعة وستين بيتاً على روي (الميم المكسور)، والثانية عشرة ابيات على روي (اللام المضموم). للمزيد من الاطلاع راجع: (جمعة، ٢٠٠٣: ١٢٧).

(١٦) إذا كانت العزلة عند غيره انكفاءً على الذات وانطواءً نفسياً قاتلاً يؤدي بالمرء إلى خواء ثقافي؛ وأمراض جسدية ونفسية كثيرة فإن عزلته كانت من نمط إبداعي وإنتاجي معرفي لا مثيل له...فإنه لم يستسلم للحياة والأحياء والقدر... وحقق انتصاره بإرادة فولاذية وعقل جبار وفلسفة ثرة وثقافة عميقة ومتنوعة... وبذلك كانت الذات المبدعة السليمة طريقه إلى إنتاج الأفكار الفلسفية الطريفة... انظر: (جمعة، ٢٠٠٣: ١٢٩).

(١٧) بحبح في الشيء: اتسع فيه.

(١٨) على سبيل المثال خاطوا شفتي الشاعر الإيراني المشهور «فرخي يزدي» لكيلا ينشد أشعاراً معارضاً للحكومة السائدة آنذاك. انظر: (لنگرودي، ١٣٨٤: ٣٠٩ – ٣١٧)

(١٩) أو الدليل النصي (Textual Evidence).

(٢٠) أو الدليل فوق النصي (Extra-textual Evidence) للمزيد من الاطلاع راجع: (اصطيف، ٢٠٠٧: ١٠٦-١٠٩).

(٢١)أي عبر اللغة العربية، سواء أكانت من ديوان الشاعر أم من سائر المصادر والمراجع المكتوبة باللغة العربية.

(٢٢) أي من خلال الترجمات أو الكتب التي مكتوبة بغير اللغة العربية.

(٢٣) لم يخل العالم من أولئك الفلاسفة المتشائمين الذين دعوا إلى هذه القضية، على سبيل المثال هناك «شوبنهور» الفيلسوف المتشائم الذي كان كأبي العلاء في تشاؤمه ونظرته إلى العالم ويقول: «فأينما توجهت ألفيت عراكاً وقتالاً ومنافسة، فكل نوع يقاتل لينتزع من الآخر ما يملكه من مادة وزمان ومكان، وليس الإنسان إلا ذئباً للإنسان، وهو تعس إذا تزوج، وتعس إذا لم يتزوج، وخير للعالم أن يقف النسل وتنقطع الحياة». انظر: (حسين و آخرون، لا.تا: ٣١)

المصادر

١. ابن خلّكان (لا.تا.)؛ **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، المجلد الأول، بيروت: دار صادر.

٢. أبوماضي، إيليا (٢٠٠٥)؛ **ديوان**، تقديم: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة النور للمطبوعات.

٣. آرين پور، يحيى (بى.تا)؛ **از صبا تا نيما (تاريخ ١٥٠سال ادب فارسى)**؛ ج.٢، چاپ ششم ، تهران: زوار.

٤. اسماعيل، عزالدين (١٩٩٥)؛ **التفسير النفسي للأدب**، د.ط، بيروت:دار العودة.

٥. اصطيف، عبدالنبي (٢٠٠٧)؛ **العرب والأدب المقارن**، الطبعة الأولى، دمشق: وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

٦. التبريزي، الخطيب (١٩٩٩)؛ **الإيضاح في شرح سقط الزند وضوئه**، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، حلب: دار القلم العربي.

٧. تولّلي، فريدون (١٣٨٠)؛ **شعله كبود، منتخب پنج دفتر شعر (رها، نافه، پويه، شگرف، بازگشت)**؛ چاپ دوم، تهران: سخن.

٨. جمعة، حسين (٢٠٠٣)؛ **إبداع ونقد (قراءة جديدة للإبداع في العصر العباسي)**؛ الطبعة الأولى، دمشق:منشورات دار النمير.

٩. جمعة، حسين (٢٠٠٦)؛ **مرايا للالتقاء والارتقاء بين الأدبين العربي والفارسي**، د.ط، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

١٠. حسين پورچافى، على (١٣٨٠)؛ **طبقه بندى ونقد وتحليل جريانهاى شعرى فارسى از ١٣٣٢ تا ١٣٥٧، رساله دوره دكترى زبان وادبيات فارسى (گرايش ادبيات غنايى وحماسى)**؛ تهران: دانشگاه تربيت مدرس، دانشكده ادبيات وعلوم انسانى.

١١. حسين، طه (لا.تا.)؛ **مع أبي العلاء في سجنه**، د.ط، القاهرة: دار المعارف.

١٢. حسين، طه وآخرون (لا.تا)؛ **أبوالعلاء المعري حياته وشعره**، د.ط، بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر.

١٣. حقوقى، محمد (١٣٧٧)؛ **مرورى بر تاريخ ادب وادبيات امروز ايران ٢**، چاپ اول، تهران: قطره.

١٤. الحلح، يحيى محمد (٢٠٠٦)؛ **أبو العلاء المعري رحلة الحياة والخلود**، الطبعة الأولى، دمشق: دار البعل.
١٥. الحموي، ياقوت (١٩٩١)؛ **معجم الأدباء**، المجلد الأول، الطبعة الأولى، بيروت:دار الكتب العلمية.
١٦. خريباني، جعفر (١٩٩٠)؛ **أبوالعلاء المعري رهين المحبسين**، الطبعة الأولى، بيروت:دار الكتب العلمية.
١٧. خسرو، ناصر (١٣٨٢)؛ **سفرنامه، با مقدمه‌ای در شرح احوال شاعر**، به قلم آليس سی. هانسبرگر، به اهتمام محسن خادم، چاپ اول، تهران: ققنوس.
١٨. خضرى، حيدر (١٣٨٥)؛ **بررسی مكتب رمانتيسم در شعر معاصر عربی وفارسی (الرومانتيكية في الشعرين العربي والفارسي المعاصرين)**؛ پايان‌نامه كارشناسی ارشد زبان وادبيات عربی، تهران: دانشگاه تربيت مدرس، دانشكده ادبيات وعلوم انسانی.
١٩. الخطيب، عبدالكريم (١٩٦١)؛ **القضاء والقدر بين الفلسفة والدين**، د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي.
٢٠. ..... (١٩٨٨)؛ **رهين المحبسين أبوالعلاء المعري بين الإيمان والإلحاد**، د.ط، القاهرة: دارالفكر العربي.
٢١. السيد، غسان (١٩٩٦)؛ **دراسات في الأدب المقارن والنقد**، دمشق: مطبعة زيد بن ثابت.
٢٢. شفيعی كدكنی، محمدرضا (١٣٨٠)؛ **ادوار شعر فارسی از مشروطيت تا سقوط سلطنت**، چاپ اول، تهران: سخن.
٢٣. العباسي، عبدالرحيم (١٩٧٤)؛ **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الجزء الأول، بيروت: عالم الكتب.
٢٤. عبود، عبده و حمود، ماجدة و السيد، غسان (٢٠٠٠-٢٠٠١)؛ **الأدب المقارن مدخلات نظرية ونصوص ودراسات تطبيقية**، منشورات جامعة دمشق.
٢٥. العلايلي، عبدا... (١٩٨٦)؛ **المعرّي ذلك المجهول رحلة في فكره وعالمه النفسي**، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.
٢٦. غنيمي هلال، محمد (٢٠٠١)؛ **الأدب المقارن**، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار نهضة مصر.
٢٧. قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة دمشق بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب وجامعة طهران (١٩٩٩)؛ **أبحاث ندوة: العلاقات الأدبية واللغوية العربية – الإيرانية (تاريخها وواقعها وآفاقها) ٢٧-٢٩**، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
٢٨. لنگرودی، شمس (١٣٨٤)؛ **تاريخ تحليلی شعر نو (١٢٨٤ – ١٣٣٢)**؛ جلد اول، چاپ.چهارم، تهران: مركز.
٢٩. المعري، أبوالعلاء (١٩٩٢)؛ **ديوان لزوم ما لا يلزم**، شرح وتحرير: د.كمال اليازجي، الطبعة الأولى، بيروت:دار الجيل.

٣٠. ..... (١٩٩٨)؛ **ديوان سقط الزند**، تحقيق: عمر فاروق الطباع، بيروت:شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

٣١. مولوی، جلال الدين محمد (١٣٧٥)؛ **كليات ديوان شمس**، جلد١، چاپ اول، تهران: نگاه.

٣٢. ناصر خسرو (١٩٨٣)؛ **سفرنامه. رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري**، ترجمه: يحيى الخشاب، الطبعة الثالثة، بيروت:دار الكتاب الجديد.

٣٣. نويهض، عادل (١٩٨٦)؛ **أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف**، الطبعة الأولى، بيروت:مؤسسة نويهض الثقافية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

کاوش‌نامهٔ ادبیّات تطبیقی (مطالعات تطبیقی عربی - فارسی)
دانشکدهٔ ادبیّات و علوم انسانی، دانشگاه رازی کرمانشاه
سال چهارم، شمارهٔ ١٦، زمستان ١٣٩٣ هـ ش/ ١٤٣٦ هـ ق/ ٢٠١٥ م

از معرّه تا شیراز: تأثیر ابوالعلاء معرّی بر شعر فریدون توللی[1]

حیدر خضری[2]

پژوهشگر مهمان، مرکز مطالعات خاورمیانه، دانشگاه ایندیانا، بلومینگتون، آمریکا

چکیده:

این مقاله بر آن است تا به بررسی پدیده «جنایت پدر نسبت به پسر» در شعر ابوالعلاء معری و فریدون توللی بپردازد. ابتدا این پدیده را در زندگی و آثار هردو شاعر مورد بحث و بررسی قرار داده و سپس به بیان عوامل مؤثّر در شکل گیری آن پرداخته‌ایم. مقاله در آخر با اشاره به دلیل داخل متنی و خارج متنی به بیان میزان تأثیرگذاری ابوالعلاء معری بر فریدون توللی می پردازد. یافته‌های مقاله که حاصل تأمل در مسائل درون متنی و برون متنی شعر توللی می‌باشد، بیانگر این است که وی در بیان این اندیشه، از ابوالعلاء معری تأثیر پذیرفته است. این تأثیرپذیری، بیشتر در شکل و ظاهر شعر ایشان تجلی یافته است، نه در باورها و اعتقادات.

واژگان کلیدی: ابوالعلاء المعری، فریدون توللی، جنایت پدر نسبت به پسر، ادبیات تطبیقی، نگاه بدبینانه.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

[1] - تاریخ دریافت: ١٣٩٣/٩/٢٧ تاریخ پذیرش: ١٣٩٣/١٢/٥

[2] - رایانامه: **haidarkhezri@yahoo.com ؛hkhezri@indiana.edu**